Journal Of the Iraqia University 64-2(31-12) December(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

# التوسع الروسي في اسيا الوسطى (١٨٥٠- ١٨٩٥)

م . محمد وعيد مهدي
المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

# Russian expansion in Central Asia (1850-1895)

Asst Instructor . Mohammed .W . Mahdi
Diyala General directorate of Education
master201577@gmal.com

10.58564/MABDAA.62.2.2023.456

## المستخلص .

ظلت الدراسات المتعلقة بتاريخ أسيا الحديث شبه مفقودة في مكتبتنا العربية رغم أهمية الأحداث التي حدثت في تلك المنطقة وصِلتها بما يجري في منطقتنا العربية لاسيما في القرن التاسع عشر والقرن العشرين, وسبب ذلك أن القوى المؤثرة في تفجير الاحداث هنا وهناك قد تكون في بعض الاحيان واحدة , ومن ثم يكون النتاج مترابطاً . يعد هذا البحث من الدراسات في هذا المجال لأهمية ذلك الجانب من تاريخ اسيا الحديث , إذ تناول البحث مرحلة مهمة من مراحل الاستعمار الروسي في القارة الاسيوية , كما وضح وسائل وأساليب روسيا للسيطرة على المنطقة الاسيوية الاسلامية ومحاولة صبغها بالصبغة الروسية, فضلاً عن أنه أظهر محاولات تحديد الحدود الروسية مع ايران وأفغانستان .

الكلمات المفتاحية : روسيا , التوسع , أسيا

Abstract .
Studies related to the modern history of Asia have remained almost missing in our Arabic library despite the importance of the events that took place in that region and their connection with what is happening in our Arab region, especially in the nineteenth and twentieth centuries. The reason is that the forces influencing the detonation of events here and there may sometimes be one , and then the result is interrelated. This research is one of the studies in this field because of the importance of that aspect of modern Asian history , as the research dealt with an important stage of Russian colonization on the Asian continent, as it clarified the means and methods of Russia to control the Islamic Asian region and try to dye it in Russian language, In addition, he showed attempts to delimit the Russian borders with Iran and Afghanistan .

Key words : Russia, expansion, Asia

## المقدمة .

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر زحفاً استعمارياً روسياً نحو وسط أسيا الاسلامية , تميز ذلك الزحف بالسرعة والاستمرار, فقد وجدت روسيا في تلك المنطقة النجاح الذي افتقدته في القارة الاوربية, فبسطت سيطرتها على خانات ( إمارات ) خوقند وبخارى وخيوة, والاراضي التركمانية الاخرى وامتدت في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى مقربة من الاراضي الافغانية, ولم تتوقف روسيا عند هذا الحد بل أخذت ترنو بأنظارها نحو الاراضي الايرانية – الافغانية, لاسيما بعدما عززت من قوتها العسكرية في وسط أسيا عن طريق إنشاء خطوط السكك الحديدة والقواعد العسكرية , وبالمقابل مع ذلك التوسع المحموم , واجهت روسيا منافسة كبيرة من جانب بريطانيا التي حاولت الحد من الزحف الروسي عن طريق التفاوض مع روسيا في البداية لتحديد نفوذ كل منهما في وسط أسيا, ولم تقتصر الدولتان على هذا الاسلوب الدبلوماسي , بل لجأتا في بعض الاحيان الى المناورة والتهديد بالقوة, وعلى الخصوص عندما اقترب الروس من حدود افغانستان والهند ولم تدفع الدولتان الامور بينهما إلى درجة التأزم لإدراك كل منهما بامكانياتها وقدراتها , بل ولقناعتها بعدم جدوى محاربة الاخرى في وسط أسيا, ولذلك أخذتا في العمل على حل المشكلات التي ظهرت لهما في الاراضي الايرانية والافغانية والاراضي الاخرى, قسم هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث فرعية إذ تناول

المبحث الاول , بدايات الاطماع الروسية في وسط أسيا ودوافع سيطرتها على الخانات الاوزبكية ( خيوة – بخارى – خوقند ) , وتطرق المبحث الثاني , إلى الزحف الروسي على الاراضي التركمانية والاساليب التي اتبعتها روسيا للسيطرة على المنطقة , أما المبحث الثالث والاخير فيتعل بمشكلة الحدود الروسية – الافغانية والموقف البريطاني منها .

**تمهيد** .

يمكن القول أن وسط أسيا عموماً شبه منحرف يحده من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربي هضبة البامير, ومن الغرب جبال آلتاي وبابلوني وستانفوي ومن الشرق جبال كنجان, وتنحصر المنطقة الإسلامية في المساحات الكبيرة الواقعة ما بين بحر قزوين وجبال هندوكوش وآلتاي, ويسكن تلك المنطقة عدة جماعات وقبائل يأتي في مقدمتها القوزاق أو القرغيز الذين ينتشرون جنوبي نهر (برصو) شرقي نهر (سيحون), وقد تمكنت قبائل القلمق من دفعهم إلى مرتفعات تيان شان , كما سيطر القوزاق على المنطقة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واندمجوا مع سكانها ثقافياً واجتماعياً (Britainica, 1970, p. 196)ثانياً. القلمق , وينتشرون في المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا وأنهار آميا وآورال, وقد امتدت سلطتهم السياسية حتى هضبة التبت وتمكنت روسيا من التوغل في المنطقة بعد الغزوات المغولية التي تعرضت لها تلك المنطقة, مستغلة النزاعات القبلية التي كانت مستشرية فيها ونجحت في بسط سيطرتها عليها في بداية القرن الثامن عشر (كمال، ٢٠٠٦، صفحة ٩)

ثالثاً . التركمان, مجموعة من القبائل المغولية الأصل التي كانت تنتشر جنوبي خيوة في المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقيةرابعاً. الأوزبك , امتد نفوذهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آورال وفي القرن السادس عشر امتد نفوذهم إلى بخارى وسمرقند وطاشقند وأصبحت مدينة سمرقند عاصمة الأوزبك, وبعد ذلك تركز نفوذهم في خانات بخارى وخيوة وخوقند (كمال، ٢٠٠٦، صفحة ٩)

## المبحث الأول : بدايات الاطماع الروسية في وسط أسيا , و دوافع سيطرتها على الخانات الاوزبكية (خيوةبخارى خوقند ) .

كان نشاط روسيا الاستعماري محدداً في أوربا الشرقية والبلقان والدولة العثمانية وبسبب وقوف الدول الاوربية بالمرصاد لها إلى جانب عدم استقرار أوضاعها الداخلية , فقد وجدت في وسط أسيا المجال الاكثر ملائمة لها الذي تستطيع من خلاله أن تجد لها متنفساً فيها وتنطلق في مجال الاستعمار الذي كان طابع العصر آنذاك, ولذلك نشطت بالتوسع في القوزاق والباشقير (الجنابي، ٢٠٠٢ ، صفحة ٢٦)وبالفعل, أرسلت روسيا البعثات الى الخانات الاوزبكية في وسط أسيا, وحتى (حرب القرم ١٨٥٤-١٨٥٦) كان معظم الاهتمام الروسي منصباً على القارة الاوربية والدولة العثمانية, ولكن وقوف الدول الاوربية في وجهها خلال تلك الحرب دفعها إلى أن تلقي بمعظم ثقلها على وسط أسيا ومما دفعها وشجعها على ذلك, التفكك السياسي الذي كانت تعيشهُ تلك المنطقة, فضلاً عن وجود القواعد الامامية الروسية للانطلاق العسكري من مناطق سيبيريا وأورنيرج وكراسنوفودسك, فمن قاعدة سيبيريا توسعت روسيا في أراضي الباشقير جنوبي مرتفعات أورال ومن قاعدة أورنبرج كان التقدم الروسي بطيئاً نظراً لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت , فضلاً عن المقاومة التي أبداها الاوزبك والتركمان, ولذلك بدأت في تأسيس القواعد البحرية لها على شاطئ بحر قزوين لدعم نشاطها السياسي والعسكري, وكان الهدف منها دعم التوسع الروسي في أراضي خيوة والقبائل التركمانية, أما الاراضي التي تقع بين قاعدتي سيبيريا وأورنبرج التي يسكنها القرغيز والقلمق, فقد عمدت روسيا الى كسب تلك القبائل الى جانبها عن طريق الدبلوماسية وتعميق الخلافات بين القبائل المتصارعة (العيلة، ١٩٨٦، صفحة ٣٣) وفي الحقيقة, عدت الحكومة الروسية أسيا الوسطى رأس جسم مهم بالنسبة اليها في تحقيق نواياها التوسعية ومصدراً مهما للدخل لخزينة الدولة وأداة لأثراء الادارة الروسية المدنية والعسكرية هناك , كما عدها الرأسماليون الروس سوقاً جديدة لتصريف منتجات الصناعة الروسية ومصدراً مهماً للقطن الذي تحتاجه صناعة القطن في روسيا , اما من الناحية الثقافية , لم تكن الظروف ملائمة لشعوب أسيا الوسطى التي كانت متأخرة في تطورها الاقتصادي عن بقية الدول المجاورة, فضلاً عن أن ثقافة شعوب أسيا الوسطى كانت تتطور بالارتباط مع ثقافة الشرق الاسلامية, وتنتمي شعوب أسيا الوسطى وجنوب روسيا إلى جماعات وأعراق متعددة ومتنوعة, أبرزها القومية التركية ومنها : (الأوزبك والتتار والكنراك والباشقير والقرغيز والكراكليك والويغور والبلكار والقومية الايرانية وأبرزها جماعات الطاجيك _ والوسيت والاكراد والفرس والبلوخ والطوط والانفوش وهناك ايضاً جماعات قفقاسية أهمها : التشيش والشركس والكباردیا والإباط والابخاز (النعيمي، ٢٠١١، صفحة ٨)وفي الواقع, بدأت روسيا خطة استيلاء توسعية على أراضي المناطق الجنوبية بعد أن ورثت النفوذ المغولي في أسيا الوسطى, منذ عهد بطرس الاكبر مستغلة التناقضات والخلافات بين المجموعات الاسلامية , فضلاً عن الصراع التركي _ الايراني في تلك المناطق فإستولت على قرغيزيا وبلاد القازاخ في النصف الاخير من القرن الثامن

عشر وأكملت زحفها على أوزباكستان بعد أن استنجد بها الاوزبك لحمايتهم من هجمات أمير بخارى, و كان شعار روسيا في ظل التوسع والتمدد هو أنها إمبراطورية عالمية , ليس لها قومية واحدة وديانة واحدة , تحمي مصالح الجميع والقياصرة من آل رومانوف الذين كانوا ينادون بالاخوة بين كل أبناء روسيا, الإ أن هذا الشعار كان يصطدم بما يتمسك به هؤلاء من كونهم يمثلون المرجعية الارثوذكسية في العالم, وكان ذلك الامر يتسبب بمشاكل مع شعوب الجنوب الاسلامية (الجنابي، ٢٠٠٢ ، صفحة ٢٧).في واقع الامر, أن أهم مراحل الاستيلاء على القفقاس ومناطق الداغستان كانت بعد هزيمة فارس أمام الروس وتوقيع معاهدة كلستان في عام ١٨١٣ , إذ انسحبت فارس بموجب تلك المعاهدة من كامل مناطق القفقاس , لكن شعوب تلك المناطق ذات الاغلبية الاسلامية عادت وانتفضت على الروس, وأستمر ذلك التمرد زمناً طويلاً وكان أبرز قادته الإمام شامل الذي اعتقله الروس في عام ١٨٥٩, وبعد هذا التاريخ استدار الروس باتجاه الجنوب الشرقي فاستولوا على طشقند عام ١٨٦١ , ثم فرغانة عام ١٨٧٦ , التي كانت تشكل إمارة خوقند وبعدها سقطت إمارة مرو التركمانية عام ١٨٨٤, وأخيراً احتلت روسيا سهل بامير الملحق بإمارة خوقند التي بلغت حدودها فارس وأفغانستان (زيدان، ٢٠١٣، الصفحات ٣٤-٣٧) وفي الحقيقة, شهدت تلك البلاد في ظل النفوذ الروسي, حالة من عدم الاستقرار مما دفع الى ازدياد الترابط بين شعوبها الاسلامية , وقامت الثورات المتكررة ضد الروس , لاسيما بعد ما بدأت تتسرب أخبار الاحداث التي أُرتكبت بحق سكان جزيرة القرم , فقد عمل الروس على استقدام مستوطنين إلى تلك المنطقة من بولندا وأوكرانيا بهدف تغيير ديموغرافية المنطقة, ورغم الذكاء الباهر للروس في طريقة التعامل مع القوميات المتعددة واستفادتهم من التجارب واستخدامهم لكل الطرق والوسائل للاستيلاء والتوسع بما في ذلك إظهار روسيا على أنها أرثوذوكسية في البلقان كما هي بوذية في منغوليا ومسلمة في خيوة وطشقند فقد استمرت أعمال التهجير والتصفية الجسدية في عدد من مدن وسط أسيا الاسلامية مما أدى إلى تناقص أعدادهم ونزوح أعداد أخرى إلى أراضي السلطنة العثمانية وبلاد فارس, لاسيما بعد إقدام الروس على تبني اللغة الروسية في التعاملات الرسمية وفرض الكتابة باللغات المحلية كاللغة القرغيزية واللغة الكازاخية والطاجيكية بالأحرف الروسية (زيدان، ٢٠١٣، الصفحات ٣٤–٣٧).

أما أسباب الغزو الروسي لوسط أسيا فتمثلت بعدة دوافع يقف في المقدمة منها الاتي :

- الدوافع السياسية كانت منطقة وسط أسيا هي المتنفس الوحيد لقدرات روسيا السياسية والاستراتيجية, بسبب وقوف الدول الأوربية بالمرصاد أمام محاولات روسيا التوسعية في القارة الاوربية أوعلى حساب الدولة العثمانية, بل أن بعض الدول الاوربية شجعت روسيا على السير قدماً في سياستها التوسعية مبررة ذلك على أنه عمل إنساني لنشر الحضارة والتقدم وسط جماعات بربرية متخلفة .
- الدوافع العسكرية كان يتخلل القلاع الروسية المتناثرة في سيبيريا واورنبرج وبحر قزوين مساحات كبيرة من الاراضي الاسلامية تحول دون اتصال تلك القواعد بعضها ببعض أو بمعنى أخر تعوق وحدة الاراضي الروسية, ولذلك قدم مجموعة من العسكريين الروس اقتراحاً يتضمن تكامل القلاع الروسية المتناثرة تلك بحيث تشكل سلسلة دفاعية متصلة (العيلة، ١٩٨٦، صفحة ٣٥).
- الدوافع الاقتصادية .كان القطن أهم السلع التي تحصل عليها روسيا من مناطق وسط أسيا, فقد تطورت صناعة النسيج الروسية منذ عام ١٨٥٠ , حتى بدأت تقلل من حجم استيراد المنسوجات واقتصر استيرادها من الامارات الإسلامية على القطن الخام , وفي الوقت ذاته , فقد اصبح لدى روسيا فائضاً من إنتاجها من الغزل والنسيج مما تطلب الحاجة إلى وجود أسواق جديدة, وكانت الاسواق الإسلامية في وسط أسيا تمثل أمل الروس لتصريف بعض منتجاتهم, كما كانت المنسوجات الروسية تمثل٩٥٪ من حجم التجارة الروسية في وسط أسيا, علاوة على دفع الرأسمالية الروسية حكومة القيصر نحو الاستعمار في وسط أسيا الإسلامية, فقد حثت الرأسمالية هناك الحكومة الروسية على حماية مصالحها التجارية , وعلى فتح قنصليات روسية في إمارات المنطقة الإسلامية, وحماية القوافل التجارية أثناء مرورها في الاراضي الإسلامية من محاولات السلب والنهب التي تقوم بها بعض الجماعات الاوزبكية والتركمانية, كما ساندت الصحف الروسية الرأسمالية التجارية في دعواتها الاستعمارية وأخذت تدعو حكومتها إلى غزو الإمارات الإسلامية, وعلى الرغم من تلك الدوافع إلا أنه كانت هناك عوامل مهمة ساعدت روسيا على بسط سيطرتها على تلك المناطق في وسط أسيا وهي كالآتي: (زيدان، ٢٠١٣، صفحة ٣٧) .

١. التفكك الداخلي .كان الطابع القبلي هو النظام السائد في كل من خوقند وبخارى ومرو وكان منصب الخان أو الامير هدفاً لكل قبيلة أو عشيرة تشعر بقوتها للقيام بمغامرة لدفع أحد زعمائها إليه, وحينما تنجح القبيلة او العشيرة في مغامرتها تلك فإن الصراع حول منصب الخان ينشب بين أفرادها أو أفراد أسرة الامير نفسه, وذلك الوضع بدوره أدى إلى تفتت البناء الاجتماعي والسياسي للأمارات تلك , من جانبها استغلت روسيا ذلك التفكك في كل من خوقند وبخارى وأخذت تدعم العناصر المتمردة, الامر الذي ادى إلى تصدع الجبهة الداخلية لهاتين الامارتين (زيدان، ٢٠١٣، صفحة ٣٧) .

٢. موقف الامارات الإسلامية الضعيف من التوسع الروسي .كانت الامارات الإسلامية في وسط أسيا تفتقد لوحدة الصف إبان التوسع الروسي نحوها بالرغم من شعور الخوف الذي كان ينتابها لاقتراب الغزو الروسي منها, فلم تتخذ إجراءات فعالة على مستوى جميع الامارات, ولم تحاول استغلال ظروف روسيا التي تكون في بعض الأحيان حرجة خاصة حين اشتعال الثورات والقلاقل ضد روسيا في المناطق التي تقع على حدود الإمارات الإسلامية (Demetrius, 1879, p. 165) .استغلت روسيا الاوضاع الداخلية المفككة في المنطقة الإسلامية وعملت على تعميق الخلافات القبلية في كل من خوقند وبخارى, وزيادة في غرس الكراهية بين سكان خوقند وبخارى لجأت إلى تحريض بعض قطاع الطرق للإغارة على أراضي خوقند , كما لم تتوانَ عن إثارة العناصر المناوئة لأميري بخارى وخوقند, فضلاً عن استخدامها الاموال لشراء ضمائر بعض القادة , وبعد سلسلة من المعارك تمكنت روسيا من الاستيلاء على خوقند في عام ١٨٦٥, وعلى بخارى في عام ١٨٦٨, أما ما يخص أمارة ( خيوة ) فقد استمرت محاولات الروس لاخضاع تلك الأمارة والسيطرة عليها حتا عام ١٨٧٣, إذ عقدت معاهدة بين خان خيوة والجنرال الروسي كوفمان, وأعلن أمير خيوة من خلالها عن خضوعه التام للقيصر الروسي, وعن استمرار علاقات حسن الجوار مع الامارات المجاورة ومواصلة التبادل التجاري معهم على أن يحصل مسبقاً على موافقة روسيا (Demetrius, 1879, p. 165)كانت روسيا تهدف من وراء ذلك إلى تنمية التجارة في المنطقة , وبالتالي تنشيط التبادل معها فضلاً عن تعهد خان خيوة بعدم قيامه بحركات عدوانية ضد الامارات المجاورة له , وقد كانت تلك المعاهدة بكافة بنودها في صالح روسيا سواءً من ناحية إعطاء الحق لروسيا في التجارة أو الملاحة في نهر جيحون أو الحصول على تعويضات, فضلاً عن الافضلية لها في المعاملات الدبلوماسية والقضائية , فربطت تلك المعاهدة خيوة بعجلة السيطرة الروسية فيما بعد, وعلى ضوء ما سبق نستطيع القول أن روسيا وجدت في وسط أسيا, النجاح السياسي والاقتصادي والعسكري الذي افتقدته في القارة الاوربية مما شجعها على مواصلة سياستها الاستعمارية التوسعية لكي تتجنب إثارة أزمات لها في القارة الاوربية, كما أن الرأسمالية الروسية بدأت في دفع الحكومة القيصرية إلى تبني سياسة استعمارية تعبر عن هويتها السياسية والاقتصادية اسوة بالرأسمالية الاوربية الغربية (شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية, تركستان، ١٩٧٠، صفحة ٥٩).وفي السياق ذاته, وجدت العسكرية الروسية في المنطقة, الفرصة لكي تكشف عن جبروتها العسكري في وقت بدأت فيه الإمارات الإسلامية وبتشجيع من روسيا ان تتعرض لصراعات قبلية , الأمر الذي أدى إلى تعميق التفتت السياسي في تلك الإمارات , وعلى الرغم من الفرق الشاسع في إمكانات وقدرات الطرفين, إلا أن القوى الإسلامية نجحت في الوقوف أمام القوات الروسية في بعض المواقع, ولو كانت تلك القوات تنطلق من منطلق الوحدة في الداخل والتعاون العسكري لكانت النتيجة غير تلك التي حدثت , وحتى لا تثير السياسة الروسية أية معارضة أوربية تذرعت بالعوامل الانسانية مما ادى الى دعم تغلغلها في المنطقة, فتمكنت في النهاية من بسط سيطرتها عليها (شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية, تركستان، ١٩٧٠، صفحة ٥٩) .

## المبحث الثاني : الزحف الروسي على الاراضي التركمانية والاساليب التي اتبعتها روسيا للسيطرة على المنطقة

افتقد التركمان للوحدة السياسية, وضلت الفوضى هي السمة البارزة للمنطقة إذ حاول التركمان أن ينقلوا تلك الفوضى إلى أطراف الامارات والدول الإسلامية المجاورة لهم , مما دفع تلك الدول والامارات إلى إعداد الجيوش وإرسالها لمعاقبة التركمان, ومع اقتراب الخطر الخارجي كانت القبائل التركمانية تتحد فيما بينها للتصدي للجيوش الغازية, وتمكنت بواسطة ذلك الأسلوب من الانتصار على جميع الجيوش التي أرسلتها الدول والامارات الإسلامية , وبذلك نجح التركمان في الحفاظ على استقلالهم . غير أن وحدة التركمان لم تستمر طويلاً , فبعدما كان يزول الخطر الخارجي يعود التركمان إلى حالة الفوضى والنزاع السابقة , فضلا عن شن الغارات وسلب القوافل التجارية التي تسير عبر أراضيهم , بالمقابل, وجدت روسيا في أوضاع التركمان ما يشجعها على البدء في تنفيذ سياستها التوسعية في المنطقة ومما ساعد حكومة روسيا للتوسع في الاراضي التركمانية أيضا ظروف القارة الأوربية المتدهورة آنذاك (السرجاني، تاريخ الإسلام في القوقاز).

**أسباب التوسع الروسي في المنطقة التركمانية :**

١- تداخل الحدود بعد أن بسطت روسيا سيطرتها على بخارى وطشقند وخيوة أنشأت القواعد العسكرية على شاطئ بحر قزوين مثل كراسنوفودسك , ومما ساعدها على ذلك طبيعة جريان نهر الفولكا الذي يعد طريق المواصلات الأسهل والأمن والذي يجنب روسيا مشقة أرسال قواتها عن طريق أورنبرج وخيوة, وقد وجدت روسيا بعد انتشارها العسكري أن الاراضي التركمانية أصبحت تتوسط المراكز الروسية ما بين خيوة وبحر قزوين , وتقطع عليه سبل الاتصال المباشر ولذلك كانت روسيا تتجنب إرسال القوافل التجارية عبر الأراضي التركمانية وتبعث بها على طول امتداد الحدود الايرانية ومرو , وتتحمل مشقة السير في ذلك الطريق الطويل لأن التركمان في أحيان كثيرة لم يلتزموا بالتعهدات التي

قطعوها على أنفسهم بالمرور الأمن والحر عبر أراضيهم للقوافل التجارية الروسية , فقد شنوا في كثير من الأوقات الغارات عل تلك القوافل وأسروا بعض رجالها (العيلة، ١٩٨٦، صفحة ٧٠) .

٢- أسباب عسكرية كانت روسيا تتطلع إلى دمج أراضي التركمان في الدائرة العسكرية القوقازية وبعد الاستقرار الروسي المنتظر في تلك المنطقة, فأن الآمال العسكرية الروسية كانت تتجه صوب الأراضي الأفغانية والإيرانية, كما أن السلطات العسكرية الروسية لم تغفل القوات الحربية التي سيقدمها التركمان في صفوف القوات الروسية فقد أجمعت مختلف التقارير على قدرة التركمان لتقديم قوة حربية مقدارها ٨٠ ألف فارس (http://www. RFERL.ORG/nca/features RU.F/ . 990721133650.htm1)

وقد أثرت بعض العوامل في طبيعة الصراع الروسي – التركماني ومنها:

- إن جبهة التركمان غير متماسكة بسبب الحروب القبلية المشتعلة في المنطقة الأمر الذي سهل على روسيا مهمة التغلب عليهم
- أن أسلحة التركمان أسلحة بدائية وتقليدية , في حين تميزت القوات الروسية بمعداتها الحربية المتطورة آنذاك. كان أسلوب المقاومة التركمانية يقوم على الكر والفر أما القوات الروسية فاعتمدت على أسلوب الخطط المدروسة والخندقة والاستقرار, مما ساعد في تفوق روسيا على التركمان خلال المواجهات معهم (السرجاني، تاريخ الإسلام في القوقاز) .

**أساليب الانتشار الروسي في المنطقة التركمانية .**

١. التمركز الحربي بدأت القوات الروسية تحركها في الأراضي التركمانية حينما توغلت القوات الروسية واحتلت منطقة منجشلق ثم واصلت زحفها واستولت على كراسنوفودسك على بحر قزوين, وفي الوقت نفسه تقدمت قوات أخرى على نهر أترك واحتلت ميناء تشكزلر وكانت إيران تدعي سيطرتها على تلك المنطقة , وحتى لا تثير روسيا قلق الحكومة الايرانية أرسلت الى إيران توضح لها بأن نهر أترك هو الحد الفاصل بين الدولتين (شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية, تركستان، ١٩٧٠، صفحة ٦٦).

٢. السياسة التوددية قام برسم هذه السياسة الجنرال لاماكين, فقد اعتقد أن بلاده لا تستطيع أن تحقق أهدافها السياسية في السيطرة على المنطقة التركمانية عن طريق العنف والمواجهة العسكرية, فلجأ إلى سياسة أخرى يقنع فيها التركمان بفائدة خضوعهم للسيطرة الروسية .

٣. استغلال النزاع القبلي .يعد الصراع القبلي السمة السياسية للمنطقة التركمانية, وقد حاولت روسيا مساندة العناصر الضعيفة وتقديم الدعم لها للانتقام من الأطراف القوية الأخرى, وذلك الأمر كان فرصة ثمينة لروسيا, حيث أن التركمان هم الذين دعوها للتدخل من أجل حمايتهم , وبالتالي العمل على حماية رعاياها الجدد من التركمان ضد القبائل الأخرى المعادية للسياسة الروسية و( لرعاياها ) من التركمان وبذلك أصبح في حوزتها الحجة القوية للتدخل٠ (http://www.RFERL.ORG/newsline -2/ tca.html ).

٤. التهديد .استغلت روسيا الظروف الجديدة التي هيأت لها فرصة التواجد السياسي في المنطقة التركمانية من أجل دعم مخططها الرامي إلى السيطرة التامة على القبائل التركمانية , وحينما لم تعط السياسة السلمية النتائج المطلوبة تحولت روسيا إلى اسلوب التهديد المباشر للقبائل التركمانية .

٥. الأسلوب العسكري .بعد فشل لاماكين في جذب قبائل التكة التركمانية بالاسلوب السلمي والتهديد والوعيد , تحول إلى الأسلوب العسكري, ومما شجعه على تبني ذلك الاسلوب الإمدادات والتسهيلات التي تقدمها له بقية القبائل التركمانية لاسيما قبيلة الياموت والموقف السلبي الذي اتخذته إيران تجاه سياسة روسيا التوسعية في المنطقة .

**الزحف الروسي على قزيل آروات** .تحركت القوات الروسية في ربيع ١٨٧٧ , نحو قزيل آروات وتمكنت القوات التركمانية في البداية من إلحاق بعض الخسائر بالقوات الروسية غير أن الروس جمعو قواتهم من جديد ونجحوا في السيطرة على قزيل آروات, وأعطى الروس التكة مهلة عشرة أيام إما أن يغادروا المكان أو أن يخضعوا للسيطرة الروسية, لكن جزءاً كبيراً منهم هرب إلى جهات أخرى من الأراضي التركمانية, وقد أدى الانتصار الروسي في قزيل آروات إلى شعور التركمان وخاصة الياموت بأن روسيا هي القوة الوحيدة في المنطقة, ولذلك سارعت بعض القبائل التي كانت مترددة من قبل الى الدخول تحت السيطرة الروسية, كما أن روسيا تمكنت من خلال وجودها في قزيل آروات من ربط أراضيها في خيوة بشاطئ بحر قزوين (فلاح، ٢٠١١، صفحة ٥٥) .

**الزحف الروسي على جوق تبه ( التل الأزرق )**بعد النجاح الذي حققته روسيا في قزيل آروات تراجعت عدة جماعات من التكة وبدأت تتجمع من جديد في التل الأزرق الذي يبعد ٢٠٥ ميلاً عن بحر قزوين وفي تلك الأثناء اشتعلت الحرب التركية _ الروسية, ولم تكن روسيا في موضع يسمح لها بتوجيه أنظارها إلى قبائل التكة فأرجأت مشروع غزوها لقبائل التكة في التل الأزرق حتى عام ١٨٨٠, وفي أوائل عام١٨٨٠ , بدأت روسيا استعداداتها من جديد للزحف على تكة التل الأزرق وتمثلت تلك الإستعدادات بـ

١. إنشاء خط حديدي امتد لقزيل آروات لتوفير سبل المواصلات .
٢. تعيين الجنرال سكوبيليف قائداً على إقليم القزوين, وكان سكوبيليف يتمتع بشهرة واسعة في الأوساط العسكرية الروسية .
٣. السيطرة على حصن بامي في عام١٨٨١, مما مكن روسيا من فتح طريق المواصلات الروسية ما بين بحر قزوين وقزيل آروات .وبعد عدة معارك قادها الجنرال الروسي سكوبيليف تمكن من السيطرة على عدد من القلاع والحصون التركمانية والتي مكنته من تمزيق وحدة قبائل التكة عن طريق إجبارهم على الإقامة في مناطق متفرقة حتى يسهل على روسيا السيطرة على المكان دون معارضة تخشاها, وقد ترك الإنجاز الذي حققه الجنود الروس أثره في معنوياتهم, فبعد أن كانت روح التذمر هي السائدة بينهم نتيجة للعمليات المرهقة التي يقومون بها بعيداً عن قزوين, أعلنوا عن استعدادهم للعمل في أي مكان, فاندفعوا في عمليات جديدة ضد التركمان كان من نتيجتها أن ضموا الأراضي الواقعة بين قزيل آروات وعشق أباد إلى الإمبراطورية الروسية (فلاح، ٢٠١١، صفحة ٥٥).

**الموقف البريطاني من التوسع الروسي في المناطق التركمانية** .مع ازدياد الزحف الروسي في الأراضي التركمانية, ارتفعت بعض التحذيرات إلى الحكومة البريطانية لمواجهة ذلك الزحف, وكانت الحكومة الروسية تعلن التأكيد تلو الآخر إن ازدياد توسعها يعني زيادة ضعفها عسكرياً واستنزاف طاقاتها الاقتصادية, وإن ما تفعله روسيا , إنما هو ضرورة ملحة لحماية حدودها (خياباتي، ٢٠١١ ، صفحة ٧٤) .

**أثر معاهدة سان ستيفانو على أسيا الوسطى** بعد انفجار الحرب التركية – الروسية ١٨٧٦, وزحف القوات الروسية إلى القرب من القسطنطينية عقدت معاهدة سان ستيفانو بين الطرفين في ١٨٧٨ , وقد استولت روسيا بمقتضاها على قارص وأردهان وأرضروم , كما أدت هذه المعاهدة إلى ظهور دولة بلغاريا الكبرى, وكانت الدولة العثمانية تدرك لحظة موافقتها على استقلال بلغاريا أن هذا سوف يثير معارضة الدول الكبرى وخاصة بريطانيا, التي شعرت بأن روسيا سوف تمد نفوذها عن طريق بلغاريا إلى قلب الدولة العثمانية, وبالتالي تصبح هذه الدول تحت رحمة روسيا, كما أن سيطرة روسيا على قارص وأردهان وأرضروم وعلى معظم أرمينيا سوف يجعل في مقدور الجيش الروسي تهديد شمال العراق والخليج العربي وبالتالي الهند (النعيمي، ٢٠١١، صفحة ١٤). وفي السياق ذاته, تحركت بريطانيا سريعاً لمواجهة ذلك الخطر الذي تصورته من وراء معاهدة سان ستيفانو, فأعدت جيشاً بلغ تعداده ١٣٠ ألفاً لعبور أفغانستان كي يهاجم الممتلكات الروسية في وسط أسيا, كما إنها استخدمت مبعوثون أتراك ليقوموا بمهمة تأليب سكان المناطق الإسلامية ضد روسيا , وبذلك ستنجح بريطانيا في فتح جبهة جديدة ضد روسيا, الأمر الذي قد يدفعها إلى تخفيض حدة اندفاعها في البلقان, ومما أكد الحرص البريطاني على البعثة التركية والأهمية التي تنتظرها من ورائها أنها أرسلت بعض الضباط الإنكليز ضمن البعثة التركية, كما أنها أرسلت بعثة بقيادة الكابتن نيبر إلى الحدود الإيرانية التي تجاوز الأراضي التركمانية, وقد إرتاب الروس من النوايا البريطانية التي تختفي وراء إرسال تلك البعثة , وكان أكثر شيء يثير المخاوف الروسية أن تعمل تلك البعثة على تأليب السكان التركمان ضد الروس (النعيمي، ٢٠١١، صفحة ١٧).

**الزحف الروسي على مرو** .فشلت بريطانيا في محاولة وقف التوسع الروسي في المنطقة التركمانية, واستمرت روسيا في سياستها التوسعية , وكانت مرو هي الهدف التالي لتلك السياسة, ومن الطبيعي ان تتطلع روسيا إلى مرو نظراً لمكانتها التجارية وأهميتها الاقتصادية, فضلاً عن أن هدف روسيا العسكري هو السيطرة على الطريق الذي يبدأ من بحر قزوين ثم يمر بأسفل الجزء الشمالي من مرتفعات خراسان ثم استرآباد وأبيارود حتى مرو, فضلا عن رغبة روسيا في الانتقام من تكة مرو الذين قدموا المساعدة والدعم لأقربائهم في التل الأزرق وقزيل آروات (الساموك، ١٩٨٨، صفحة ٥٤).

**أساليب روسيا لصبغ المنطقة بالصبغة الروسية** .استخدمت روسيا عدة طرق أثناء عملية صبغ الأراضي الإسلامية بالصبغة الروسية منها:

١- **السيطرة المباشرة** .لم تتبع روسيا نظاماً واحداً في إدارتها للمنطقة الإسلامية ففي بخارى كان أميرها يتمتع بدرجة كبيرة من السلطات في أراضيه, وكان يتعامل مع روسيا من منطلق أمير دولة متحالف معها, وكانت روسيا في جميع مراسلاتها معه تلقبه بصاحب العظمة وتنفذ له معظم طلباته, كما حدث حينما قدمت له أراضي خيوة التي تقع غربي بخارى, ولم تتدخل روسيا في بخارى إلا إذا تعرضت بخارى لفتنة في الداخل بسبب الصراع على السلطة, ولم يكن التصرف الروسي هذا من موضع الضعف, بل كان خطة مرحلية, وفي خيوة أرجعت روسيا أميرها ثانية إلى منصبه ومنحته لقب (صاحب العظمة) وحددت سلطته في مجال القضاء والنزاعات القبلية, في حين كانت السلطة الفعلية بيد مجلس شكلته هي, وضمنت فيه الأغلبية لصالحها , أما خوقند فقد حرمت من جميع السلطات أو بمعنى آخر من أية مزايا سياسية, وذلك يرجع إلى أنها أصبحت جزءاً من مقاطعة التركستان التي اتخذت من طشقند عاصمة لها, وقد ترتب على ذلك تمركز الإدارات الروسية والقيادات العسكرية في أراضي خوقند, ومن ثم بدأت خوقند في الانضواء تحت السيطرة الروسية المباشرة, وفي المنطقة التركمانية أقامت روسيا إدارات متفرقة,

وكانت كراسنوفودسك هي مقر القيادات العسكرية العامة في المنطقة التركمانية, وفي مدينة مرو عينت روسيا قائداً عسكرياً هو الجنرال تشرنائيف, الذي إطاعه التركمان أوامره بكل دقة (فلاح، ٢٠١١، صفحة ٥٧).

٢- **التغلغل الثقافي و الإجتماعي** .لم تقتصر روسيا في فرض سيطرتها المباشرة في وسط أسيا عن طريق الوجود العسكري أو السياسي فقط , بل لجأت إلى طرق أخرى, مثل فتح المناطق الإسلامية أمام الروس للاستقرار فيها , وفي بعض الأحيان كانت تدفع ببعض الجماعات الروسية للاستيطان في الأراضي الإسلامية, كما حدث حينما أرسلت بعض المواطنين الأوكرانيين للاستيطان في أراضي القلمق وبناءاً على ذلك, فقد أصبح المواطنون الروس ينتشرون في معظم الأراضي الإسلامية , وعلى سبيل المثال فإن مدينة مرو عام ١٨٨٦, وبعد ثلاث سنوات من سيطرة الروس عليها أصبح نصف سكانها من الروس وكان هدف روسيا من وراء ذلك هو غرس اللغة والعادات والتقاليد الروسية وسط الجماهير الأوزبكية والتركمانية المسلمة (http://www.RFERL.ORG/newsline -2/ tca.html ). يضاف إلى ذلك إن القيادة الروسية في المنطقة الإسلامية كانت تكتب الأوامر باللغة الروسية مع اللغة التركية أو الفارسية, وملئت المدارس بكتب قواعد اللغة الروسية, كما وعدت الحكومة الروسية زعماء البلاد بأرسال أبناءهم للتعليم في المدارس الروسية على نفقة الحكومة القيصرية إذا أتقنوا اللغة الروسية, كما أن الحكومة الروسية كانت تشترط في المتقدم لإحدى الوظائف أو إلى أي عمل من الأعمال أن يتقن اللغة الروسية, وهكذا تمكنت روسيا بتلك السياسة من بسط سيطرتها على وسط أسيا, وبالتالي ربطها ثقافياً وإدارياً وعسكرياً بالحكومة القيصرية (الساموك، ١٩٨٨، صفحة ٥٥)ولكل ماسبق نستطيع القول بأن الأراضي التركمانية تمثل منطقة استراتيجية هامة للستراتيجية العسكرية الروسية , التي كانت تهدف إلى ربط مراكزها في المنطقة الأوزبكية وعلى بحر قزوين ولتحقيق هذا الهدف مارست روسيا عدة أساليب مع التركمان, وتمكنت بفضل قوتها المتقدمة في ذلك الوقت أن تحسم معهم الصراع لصالحها بالرغم من المقاومة الشجاعة التي أبداها التركمان, ولقد أخفت روسيا أطماعها الحقيقية من وراء عملياتها في المنطقة التركمانية خلف حماية التجارة والقضاء على حركات السلب والنهب وكانت بريطانيا تنظر بقلق تجاه سياسة روسيا في الأراضي التركمانية, خاصة وأنها كانت تخشى أن يمتد التوسع الروسي إلى المناطق القريبة من الأراضي الأفغانية وبالتالي ستجد روسيا نفسها حسب التصور البريطاني في موقفين (العامري، ٢٠١٢، صفحة ٥٩).

**الأول –** تهديد الأراضي الأفغانية عن طريق البدء في عمليات عسكرية جديدة تجاه منطقة حيرات, وهذا من شأنه تهديد الهند في المستقبل .

**الثاني –** أن تدفع العمليات العسكرية الروسية بعض القبائل التركمانية إلى اللجوء إلى الأراضي الأفغانية , وبالتالي أنتشار الفوضى في أفغانستان (العامري، ٢٠١٢، صفحة ٥٩).

## المبحث الثالث : مشكلة الحدود الروسية الافغانية والموقف البريطاني منها .

استغلت روسيا عزلة بريطانيا من أجل تحقيق أطماع توسعية لها في وسط أسيا الإسلامية, كما لجأت في الوقت ذاته على ضوء ظروف القارة الأوربية الجديدة بعد عام ١٨٧٠م إلى التخلص من أثار الحرب (حرب القرم) وإلى تعزيز موقفها في البلقان وتبني الحركة الإسلامية وقد ظهر ذلك من خلال ثورة ١٨٧٥, في البلقان , ثم دخول روسيا إلى جانب الثوار ضد الدولة العثمانية , وحينما تولى المستر دزرائيلي رئاسة الحكومة البريطانية ١٨٧٤, عمل جاهداً كي يعود لبريطانيا مركزها الممتاز في القارة الأوربية والعالم فحاول كبح جماح روسيا في البلقان عن طريق سحب الامتيازات التي حققتها في سان ستيفانو وصد تغلغلها في وسط أسيا الإسلامية فوضع المستر ليتون في منصب نائب الملكة في الهند وحثهُ على تبني سياسة نشطة مع أفغانستان (العدوان، ١٩٨٠ ، صفحة ٧٦)من جانبها, كانت روسيا تدرك أن الوصول إلى الأراضي الأفغانية سوف يمكنها من توجيه ضربة كبيرة للوجود البريطاني في الهند بصفة خاصة وللسياسة البريطانية بصفة عامة, وبذلك أصبحت الدولتان توليان أهمية قصوى لأفغانستان, فحاولت كل منهما أن تشدها إلى جانبها, وهذا مما أدى إلى ظهور المشكلة الأفغانية وقد أثار الاحتلال الروسي لخيوة مخاوف الأمير الأفغاني شير علي خان الذي كان يتوق أن يواصل الروس سياستهم التوسعية نحو أراضيه, ومع أن الجنرال كوفمان أرسل له رسالة حملت النوايا الإنسانية التي دفعت الروس للإقدام على استخدام القوة العسكرية, وأن المسؤولية من وجهة نظر الجنرال الروسي تقع كلها على خان خيوة, إلا أن الأمير لم يجد في رسالة الجنرال الروسي ما يبعد عنه مخاوفه وأخذ الأمير يبحث عن حليف له لمساعدته في محنته تلك والتي كانت تؤرقه فلم يجد أمامه غير بريطانيا, فاجتمع مع المندوب البريطاني المسلم الموجود في كابول وشرح له مايقلقه والشائعات التي كانت تتردد بين حين وأخر, والتي تحمل النوايا الروسية في السير قدماً في عمليات توسعية تجاه الأراضي الأفغانية وأن الطريق الوحيد للوقوف في وجه التوسع الروسي يكمن في التعاون الأفغاني البريطاني (ياغي و شاكر، ١٩٩٥، صفحة ٢٥١) وفي السياق ذاته, نقل المندوب البريطاني رأي الأمير الى الحاكم العام للهند المستر نورثبروك الذي وافق على اجتماع ممثلين البلدين للتشاور فيما بينهم, وخلال الاجتماع الذي عقد بين

الطرفين, في مدينة سيملا ١٨٧٣, أوضحت أفغانستان عن عدم ثقتها بالوعود التي قطعتها روسيا على نفسها فيما يتعلق بالأراضي الأفغانية, وطالبت حكومة الهند بضرورة مساعدتها مادياً ومعنوياً في حالة تعرضها لأي عدوان روسي على أراضيها (هويدي، ١٩٨٨، صفحة ٣٦) .

**أزمة البلقان وتأثيرها على الوضع في وسط أسيا** . تدهور الموقف السياسي في القارة الأوربية حينما قامت ثورة البوسنة والهرسك عام ١٨٧٥ , والتي أدت إلى إندلاع أزمة البسفور وبالتالي بدأ الحرب العثمانية – الروسية, والتي سيطر الروس خلالها على المضائق وتقدموا باتجاه العاصمة العثمانية نفسها, من جانبها خشيت بريطانيا من التقدم العسكري الروسي السريع وأن يؤدي في نهاية المطاف إلى سقوط القسطنطينية, وكان مفتاح السياسة التي اتبعها المحافظون البريطانيون لمواجهة تلك الظروف الجديدة تكمن في رسالة رئيس الوزراء الى الملكة في ٢٢ يوليو ١٨٧٧, وعرضه فيها الإجراءات التي ستتخذها بريطانيا لمواجهة روسيا في الحرب التي كانت تخوضها ضد الدولة العثمانية, لاسيما في حالة سيطرتها على مدينة القسطنطينية, وكانت خطة دزرائيلي تقضي بأن تقوم بريطانيا بالالتفاف من حول روسيا من جهتين :

**الأولى** . هي البلقان ولذلك دفعت بريطانيا بأسطولها إلى مسرح الأحداث وأرسلت مع بداية عام ١٨٧٨ , قوات هندية إلى مالطة لتعزيز القوات البريطانية في البحر المتوسط وبذلك كان الأسطول الروسي والبريطاني في مرمى القذائف غير أنه كانت تحول بينهما مدينة القسطنطينية لمدة ستة أشهر .

أما **الثانية** . فكانت مهاجمة روسيا من وسط أسيا عن طريق إرسال قوات من الخليج العربي والهند تجبر القوات الروسية المنتشرة في وسط أسيا على التراجع إلى بحر قزوين (هويدي، ١٩٨٨، صفحة ٣٦).

**الخطة الروسية في أفغانستان** تبنت روسيا خطة عسكرية في وسط أسيا لغرض المناورة مع بريطانيا من خلال الضغط حول منابع النفط, وكانت تأمل من ورائها أن تفتح ثغرة في الاستراتيجية البريطانية العسكرية في القارة الأوربية , فقد أشارت بعض التقارير إلى تحرك قوات روسية مع بداية صيف عام ١٨٧٨, باتجاه الحدود الأفغانية فبنت الجسور على نهر جيحون , بالمقابل, اتهمت السلطات البريطانية الأمير الأفغاني بالتواطؤ مع روسيا لأنه على حد زعمها كان على علم مسبق بتلك التحركات ولم يقم بأي إعتراض ضدها , ولاشك أن السلطات البريطانية كانت تغالي في تصوراتها وتستغل المواقف لإلصاق التهم بالأمير الافغاني فلم تكشف الوثائق اللاحقة عن معرفة الأمير لتلك التحركات, كما أن القوات الروسية أقرت النفوذ الذي اعترفت به بريطانيا لها خلال اتصالات عام١٨٧٣, وما يؤكد المغالاة البريطانية ما بعثه السفير البريطاني في العاصمة العثمانية في ٣٠ نيسان ١٨٧٨, عن المعلومات التي أدلى بها الجنرال سيكوبيليف عن احتمال تحرك قوات روسية لمهاجمة الهند عبر الأراضي الأفغانية, وفي الحقيقة لم تتحرك أية قوات روسية بشكل رسمي وكبير بل كان ذلك مناورة من قبل روسيا للتأثير على الاستراتيجية البريطانية, لاسيما بعد أن سلبتها بريطانيا المكاسب التي حازت عليها في معاهدة سان ستيفانو (هويدي، ١٩٨٨، صفحة ٣٦) .

**أسباب الحرب الأفغانية – البريطانية الثانية .**

يمكن تلخيص أسباب الحرب الأفغانية – البريطانية الثانية بما يأتي :

١- **شدة التنافس الروسي – البريطاني** بعد الانتصارات العسكرية التي حققتها روسيا في وسط أسيا الإسلامية, لم يعد هناك حداً فاصلاً بين الدولتين العظميين في المنطقة, وزاد من حدة التنافس بينهما الحرب الروسية – التركية, وما تبع تلك الحرب من سياسة كل من روسيا وبريطانيا في أسيا , وقد وقعت أفغانستان في وسط ذلك الصراع, وخشيت كل واحدة منهما أن تكون أفغانستان المنطلق العدائي للدولة الأخرى, فحاولت بريطانيا عن طريق الدولة العثمانية أن تبث روح الجهاد والثورة ضد الروس وبذلك تفتح على روسيا جبهة جديدة في وسط أسيا, وكانت ترى في أفغانستان المنطلق الحقيقي لتلك المحاولة مما دفعها إلى إرسال البعثة العثمانية, وفي نفس الوقت أدركت روسيا النوايا العثمانية البريطانية والأخطار التي ستتعرض لها فسارعت بدورها إلى إحباط المخطط العثماني البريطاني, وجذبت أفغانستان الى الدائرة السياسية الروسية, وكانت تمتلك الأساليب الإنسانية والسياسية التي مكنتها من النجاح في محاولتها, وتصورت بريطانيا في النجاح الروسي السياسي نصراً عجزت هي عن تحقيقه بالطرق السلمية فلجأت إلى الأسلوب العسكري (الحسن، ١٩٨٧، صفحة ٦٥).

٢- **تهور نائب الملك في الهند** .بالرغم من التقارير المختلفة التي وصلت إلى المستر ليتون من مصادر بريطانية وهندية والتي أظهرت له عدم وجود أي ارتباط عسكري بين الأمير الافغاني وروسيا الا أنه واصل سياسته الصلبة نحو أفغانستان رغم معارضة بعض الأعضاء من حكومة الهند .

٣- **عدم استقرار الأوضاع الداخلية** إن السمة السياسية البارزة للمجتمع الأفغاني هي القبلية الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية رغم مجهودات شير علي خان للقضاء على أي صراع ينشأ, ومن ثم فقد وجدت بريطانيا في هذا الوضع الفرصة لتأليب الحاقدين والثائرين على

الأمير وقد استغل نائب الملك الواقع الأفغاني أيما استغلال وتصور أن العمل العسكري البريطاني في أفغانستان سوف يكون مجرد نزهة عسكرية بين هتافات وترحيب الأفغان المؤيدين لبريطانيا (الحسن، ١٩٨٧، صفحة ٦٥).

**مشكلة الحدود الروسية – الأفغانية و موقف بريطانيا منها .**

سبق القول أن التوسع الروسي امتد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الإمارات الإسلامية والأراضي التركمانية, فبدأت المنطقة الفاصلة بين الامبراطورية الروسية والبريطانية تضيق تدريجياً, ورغم هذا التقارب بين القوتين المتنافستين, فقد كانت المنطقة التي احتلها الروس حديثاً على نوع من الاستقرار ولما كانت روسيا تدعي أنها تتوسع في هذه المنطقة بدافع العمل على استقرار هذه الجبهة وإدخال مظاهر الحضارة الحديثة فيها, ومع مرور الوقت لم يعد لهذا الدافع أهمية واصبح البريطانيين يضعون في اعتبارهم أن الروس إنما يسعون إلى التوسع سواءً أكانت هناك أسباب انسانية أو حضارية أولم تكن هناك مثل تلك الدوافع, فقد أصبحت الدوائر البريطانية المسؤولة عن المنطقة تعتقد أن شهية روسيا أصبحت مفتوحة, وأنها ستواصل توسيع رقعة نفوذها كلما سنحت لها الفرصة, لاسيما من جهة الشمال الغربي, وهذا كفيل بأن يخلق لبريطانيا مشاكل سياسية وعسكرية مع روسيا (حسين، ١٩٩٩، صفحة ٤٥) ومما يجدر الاشارة اليه , اتجهت السياسة البريطانية لعلاج ذلك الموقف من خلال إقامة منطقة عازلة بين حدود الإمبراطوريتين واقترحت في هذا المجال أن تكون أفغانستان هي الدولة الحاجزة من جانبها, وكانت حدود أفغانستان حينذاك غير واضحة المعالم, ولم تكن قد طبقت في وسط أسيا بعد الأساليب الحديثة حينذاك لتحديد الحدود بين الدول بدقة , ومن ناحية أخرى كانت الامتدادات العشائرية لا تعطي الفرصة لتحديد دقيق لتبعية تلك العشائر , فضلاً عن أن هذا النوع من التركيب الاجتماعي العشائري وظروفه الاقتصادية واتساع مجال حركة تلك العشائر في مناطق الحدود وما كان يحدث فيما بين تلك العشائر من صدامات, وما بين تلك العشائر والسلطات الحاكمة من أزمات, كل هذا كان يحول دون وجود حدود واضحة لأفغانستان, ولما كان نهر جيحون هو المظهر الطبيعي الجغرافي الذي يمكن أن يتخذ منه حداً سياسياً بين منطقتي النفوذ البريطاني والروسي, ويمثل في الوقت ذاته الحد الشمالي الشرقي لأفغانستان وعلى هذا الأساس بدأت بريطانيا اتصالاتها مع روسيا منذ عام ١٨٦٩, واستمرت تلك الاتصالات حتى عام ١٨٧٣, حيث توصل الطرفان إلى اتفاق عام ١٨٧٣, إذ وافقت الحكومة الروسية فيه على وجهة النظر البريطانية باعتبار نهر جيحون حداً فاصلا بين نفوذ الإمبراطوريتين وبالتالي الحد السياسي والجغرافي لأفغانستان (حسين، ١٩٩٩، صفحة ٤٥) وفي حقيقة الامر, لم يتطرق ذلك الإتفاق إلى نقاط تفصيلية أو إلى تحديد واضح للحدود لكي يحول دون ظهور أزمة في المستقبل بين الدولتين, فقد كانت الموافقة الروسية مجرد مجاملة ليس ألا, حتى لا تثير معارضة الحكومة البريطانية – المنافس الوحيد لها في وسط أسيا الإسلامية, خاصة وأنها أي روسيا كانت تتجه للتوسع في أراضي خيوة والقبائل التركمانية فلذلك أعلنت الحكومة الروسية أنها لا تمانع وجهات نظر الحكومة البريطانية في أن يكون نهر جيحون حداً سياسياً لأفغانستان (الحسن، ١٩٨٧، صفحة ٦٦)ومما يجدر الاشارة اليه الى أن تلك المخاوف في تواصل الزحف الروسي ظلت تؤرق الدوائر السياسية في كل من بريطانيا وافغانستان , وعلى سبيل المثال, أثار الزحف الروسي في ثمانينيات القرن التاسع عشر في المنطقة التركمانية المخاوف البريطانية والأفغانية في أن يمتد ذلك الزحف إلى المناطق المجاورة لأفغانستان وكانت اكثر المناطق الأفغانية التي تثير القلق الأفغاني والبريطاني تلك الأراضي التي كانت تقع بين نهر جيحون ومدينة حيرات, والتي لم يتطرق اليها إتفاق عام ١٨٧٣ (الجاسم، ١٩٨٨ ، الصفحات ١١٠-١١١)

**الموقف الروسي من المشكلة الافغانية .**

اتبعت روسيا في تناولها للمشكلة الأفغانية سياسة مرحلية حتى لا تثير حفيظة واعتراض بريطانيا, وبالتالي عدم وضع الصعاب في طريق تنفيذ برنامجها التوسعي, ففي عام ١٨٦٩, أدركت الحكومة الروسية أن تخوف بريطانيا من سياستها التوسعية في وسط أسيا يكمن في أفغانستان, فأعلن القيصر الروسي أن أفغانستان بعيدة عن المخططات الروسية وما دفع روسيا إلى ذلك الموقف, أنها لم تكن قد وطدت نفوذها بعد في خوقند وبخارى وتخشى أن تثير لها بريطانيا أزمة في المنطقة تحول دون استمرار سيطرتها عليها (شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية, أفغانستان، ١٩٨٥، صفحة ٨٦)وفي ضوء عرضنا السابق نستطيع القول بأن التوسع الروسي في المنطقة الإسلامية في وسط أسيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد أدى إلى تضييق المسافة الفاصلة بين نفوذ الدولتين العظميين في أسيا في ذلك الوقت لاسيما وأن روسيا استغلت عزلة بريطانيا العظمى لدفع نفوذها إلى الإمارات الإسلامية وأرجعت دوافع تحركها هذا إلى عوامل إنسانية وحضارية ومع كل ذلك لم تنته محاولات الروس من التقرب والزحف في اواسط أسيا, بل اقترب الوجود الروسي كثيراً من التمركز البريطاني في الهند, وارتفعت صيحات البريطانيين محذرة من الخطر الروسي القادم , كما أن الحكومة البريطانية بدأت تشكك في الأهداف الإنسانية والحضارية التي كانت تنادي بها روسيا, وترى أن من خلفها المزيد من التوسع والانتشار الروسي في المنطقة (شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية, أفغانستان، ١٩٨٥، صفحة

٨٦)ولذلك أصبح واضحاً أمامها ضرورة العمل على تحديد نفوذ كل من الدولتين في وسط أسيا الإسلامية, وكانت بريطانيا ترى في نهر جيحون فاصلاً طبيعياً وسياسياً بين الدولتين, فبدأت اتصالاتها مع الحكومة القيصرية لإقناعها بوجهة النظر البريطانية, ولم تكن روسيا في ذلك الوقت قد وطدت بعد نفوذها في المنطقة الإسلامية, وتخشى إذا ما عارضت الاقتراح البريطاني في تأثير بريطانيا ضد سياستها في المنطقة, كما أن المقترح البريطاني أقر بسيادة روسيا على المناطق التي تقع شمال نهر جيحون (العامري، ٢٠١٢، صفحة ١٤١)ومما يجدر الاشارة اليه, لم تتوصل الدولتان خلال اتصالاتهما المستمرة إلى حل لمشكلة الحدود الأفغانية فتقرر أن تنقل خلافاتهما بكل تناقضاتها إلى أرض الواقع وتشكل لجنة من قبلهما لدراستها والعمل على حلها, ولكنهما في الوقت نفسه لم تعطيا تلك اللجنة حرية الحركة من أجل الوصول إلى تسوية نهائية, فكل دولة زودت ممثليها بوجهة نظرها, وطلبت منهم الالتزام بها, وقبل بدأ اللجنة في تخطيط الحدود انفجرت مشكلة منطقة بانجه التي أوشكت أن تكون سبباً في إحداث حرب بين الدولتين لولا ميل الجانبين إلى السلم مما سبب فشل اللجنة في تحقيق المهمة التي أرسلت من أجلها, ومن ثم بدأت الاتصالات من جديد بين العاصمتين حتا توجت باتفاق ١٠ أيلول ١٨٨٥, الذي عُدَ رسمياً بداية العمل الحقيقي للتسوية بين الدولتين وفي ضوء ذلك الاتفاق, شكلت الدولتان لجنة ثانية لتخطيط الحدود , وبالفعل , نجحت تلك اللجنة في تخطيط حدود مساحات كبيرة, ولم تنجز كل المهمة الموكلة اليها بسبب إختلاف نص الاتفاق عن الواقع الجغرافي وفقدان الجانب الروسي في اللجنة لحرية التفاوض بشكل واسع, بل كان مقيداً بتعليمات حكومته, ولذلك فشلت اللجنة في تخطي مشكلة الأودية في الغرب ومشكلة منطقة فوجا صالح في الشرق (العدوان، ١٩٨٠ ، صفحة ٧٩).وفي السياق ذاته, تحولت الجهود بعد ذلك إلى سنت بطرسبورج ولجأت الحكومة الروسية إلى التمويه بسبب ضغط العسكريين الروس الذين كانوا يطمعون في السيطرة على بعض الأراضي الأفغانية وفشلت المحاولة الأولى وتبعتها محاولة أخرى , كما مارست بريطانيا في العاصمة الروسية نشاطاً سياسياً واسع النطاق, إذ كانت ترى ضرورة عقد اتفاق, لاسيما بعد الفوضى التي انتشرت في الأراضي الأفغانية وكانت تخشى أن تمد روسيا يدها إلى أفغانستان في تلك الظروف الحرجة, وبالتالي تختفي الدولة الحاجزة التي سعت طويلاً من أجل الحفاظ على وجودها, وبالفعل نجحت بريطانيا في دفع الجانب الروسي للوصول إلى تسوية بشأن الحدود الأفغانية – الروسية , وفي حقيقة الامر , كانت تلك التسوية تفتقد للأساليب الفنية المطبقة في ترسيم الحدود في الوقت الحالي, مثل تحديد مجرى النهر أو المنسوب أو الجرف أو العمق, ولقد سبب هذا فيما بعد مشاكل بين الدولتين لاسيما فيما يتعلق بمشاكل المياه (الساموك، ١٩٨٨، صفحة ٥٥).

## الاستنتاجات .

توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تخص الموضوع وأهمها :

- كان لأهمية منطقة آسيا الوسطى الاستراتيجية والاقتصادية السبب الاساسي والكبير في توجه أنضار روسيا القيصرية إليها .
- لعبت الصراعات الدولية آنذاك في تغلغل وتنافس الدول الاستعمارية في محاولة منها للحصول على موطئ قدم في خانيات وإمارات أسيا الوسطى الإسلامية .
- كان للتناحر والانقسام بين إمارات وخانيات أسيا الإسلامية الدور الأكبر في تعزيز السيطرة الاستعمارية الروسية على تلك البلاد .
- استخدمت روسيا أساليب ووسائل متعددة في السيطرة وضم المناطق الإسلامية في وسط أسيا إليها .
- كان للأحداث السياسية والعسكرية الأوربية دور كبير في توجه أنضار روسيا نحو وسط أسيا الإسلامي .
- دخلت بريطانيا على خط الأحداث بعد شعورها بالتهديد الروسي على مستعمراتها في الهند .
- واجهت روسيا في عملية ضمها للإمارات والخانيات الإسلامية مقاومة شرسة إلا أن التفوق الروسي في المجال العسكري والسياسي جعلها تنجح في حسم تلك العملية .

***http://www.RFERL.ORG/newsline -2/ tca.html.***


- http://www. RFERL.ORG/nca/features RU.F/ . 990721133650.htm1.
- Britainica, E. (1970). usa.
- Demetrius, B. (1879). England-Russian in Central Asia. London.
- أحمد خياباتي. (٢٠١١ ). الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي. بيروت.
- أحمد عادل كمال. (٢٠٠٦). الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم (المجلد ط١). القاهرة: مطبعة دار السلام.

•أحمد نوري النعيمي. (٢٠١١). العلاقات التركية الروسية, دراسة في الصراع والتعاون (المجلد ط١). عمان.
•اسماعيل احمد ياغي ، و محمود شاكر. (١٩٩٥). تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر, ٩٨٧هـ-١٤٠٠هـ/ ١٤٩٢-١٩٨٠م, الجزء الاول الجناح الاسيوي. الرياض: دار المريخ.
•حسين الجاسم. (١٩٨٨ ). العلاقات الافغانية – البريطانية في القرن التاسع عشر. الكويت.
•حسين الساموك. (تموز, ١٩٨٨). الصراع الإنكليزي – الروسي حول أفغانستان. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، (١٧).
•راغب السرجاني. (بلا تاريخ). http//islam story.com/ar. تم الاسترداد من موقع قصة الإسلام.
•راغب السرجاني. (بلا تاريخ). تاريخ الإسلام في القوقاز. تم الاسترداد من موقع قصة الإسلام http//islam story.com/ar.
•شامل العدوان. (١٩٨٠ ). التطور السياسي في أفغانستان حتى الحرب العالمية الثانية. الكويت.
•صالح أحمد الحسن. (١٩٨٧). التطورات السياسية الأفغانية. الكويت.
•صلاح عبود العامري. (٢٠١٢). تاريخ أفغانستان وتطورها السياسي (المجلد ط١). القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
•عبد الله فلاح. (٢٠١١). التنافس الدولي في آسيا الوسطى, رسالة ماجستير. كلية الآداب/ جامعة الشرق الأوسط.
•فهمي هويدي. (١٩٨٨). التطورات السياسية في أفغانستان. بيروت.
•محمد حسن العيلة. (١٩٨٦). أواسط أسيا بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني (المجلد ط١). الدوحة: دار الثقافة.
•محمود شاكر. (١٩٧٠). مواطن الشعوب الإسلامية, تركستان (المجلد ط١). بيروت: دار الإرشاد.
•محمود شاكر. (١٩٨٥). مواطن الشعوب الإسلامية, أفغانستان (المجلد ط٧). بيروت: المكتب الإسلامي.
•ميثم الجنابي. (٢٠٠٢ ). الاسلام السياسي في جمهوريات وسط اسيا الاسلامية . الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.
•ناصر زيدان. (٢٠١٣). دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين (المجلد ط١). بيروت: الدار العربية للعلوم.
•هاشم حسين. (١٩٩٩). التطورات الداخلية في أفغانستان في القرن التاسع عشر. بيروت.

• http://www.RFERL.ORG/newsline -2/ tca.html.
• http://www. RFERL.ORG/nca/features RU.F/ . 990721133650.htm1.
• Bulgar Demetrius. (1879). England-Russian in Central Asia. London.
• Encyclopedia Britainica. (1970). usa.
• Ahmed Khayabati. (2011). Islamic countries in the Islamic Levant. Beirut.
• Ahmed Adel Kamal. (2006). The Islamic Republics of Central Asia from the Islamic Conquest to the Present (Volume 1). Cairo: Dar Al Salam Press.
• Ahmed Nouri Al Nuaimi. (2011). Turkish-Russian relations, a study in conflict and cooperation (Volume 1). Oman
• Ismail Ahmed Yaghi, and Mahmoud Shaker. (1995). History of the Modern and Contemporary Islamic World, 987 AH-1400 AH/1492-1980 AD, Part One, Asian Pavilion. Riyadh: Dar Al-Marikh..
• Hussein Al-Jassem. (1988). Afghan-British relations in the nineteenth century. Kuwait.
• Hussein Al-Samouk. (July, 1988). The Anglo-Russian conflict over Afghanistan. Journal of Gulf and Arabian Peninsula Studies, (17.(

• Ragheb Al-Sarjani. (no date). History of Islam in the Caucasus. Retrieved from the Islam Story website http://islam story.com/ar.

• Inclusive aggression. (1980). Political development in Afghanistan until World War II. Kuwait.

• Saleh Ahmed Al-Hassan. (1987). Afghan political developments. Kuwait.

• Salah Abboud Al-Amiri. (2012). History and political development of Afghanistan (Vol. 1). Cairo: Al-Arabi Publishing and Distribution.

• Abdullah Falah. (2011). International competition in Central Asia, Master's thesis. College of Arts/Middle East University.

• Fahmi Huwaidi. (1988). Political developments in Afghanistan. Beirut.

• Muhammad Hassan Al-Aila. (1986). Central Asia between Russian aggression and British caution (Volume 1). Doha: House of Culture.

• Mahmoud shaker. (1970). Citizens of the Islamic Peoples, Turkestan (Vol. 1st Edition). Beirut: Dar Al-Irshad.

• Mahmoud shaker. (1985). Citizens of the Islamic Peoples, Afghanistan (Volume 7). Beirut: Islamic Office.

• Maitham Al-Janabi. (2002). Political Islam in the Islamic Republics of Central Asia. Riyadh: King Faisal Center for Research and Islamic Studies.

• Nasser Zidane. (2013). Russia's role in the Middle East and North Africa from Peter the Great to Vladimir Putin (Volume 1). Beirut: Arab House of Sciences.

• Hashem Hussein. (1999). Internal developments in Afghanistan in the nineteenth century. Beirut.